شهريات

شهرية السياسة الدولية

عند المعقبين الدوريين على الحوادث الجارية أن الشهر المنقضى قد برزت خلاله فى ميدان السياسة الدولية قيامة أذربيجان بذلت لأجل تسويتها مساعى الحكومة الايرانية لدى حكومات الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريتانيا العظمى، وتبودلت بشأنها وبشأن الجلاء عن الأراضى الايرانية كلها مذكرات بين الدول العظمى الثلاث ، كما برز الاتفاق الفرنسى البريتانى على الموقف من سوريا ولبنان وسائر بلاد الشرق الأدنى ، وتجلى انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية الثلاثة فى موسكو يحاولون فيه التقريب بين وجهات النظر قبل اجتماع هيئة الأمم المتحدة الجديدة .

وعند الباحثين والمؤرخين ، السياسيين منهم والاجتماعيين ، أن تلك الحوادث التى برزت خلال الشهر المنقضى إنما هى فى الواقع العلمى « تبلور » لنزاع كمن بعض الوقت واستبان بعض الوقت الآخر ، وتلاقت عناصره حيناً وتناثرت أحياناً ، منطوية على آراء جديدة وأخرى قديمة ، تتلاطم حولها التيارات المحافظة والحرة والتقدمية ، يحظى بعضها آونة بالفوز ويبوء بعضها آناً بالاخفاق .

وعندى أن ما يشهده العالم الدولى منذ وقفت رحى الحرب العالمية الثانية — وإن تكن مصادمات متفرعة عنها لا تزال قائمة فى أكثر من ركن — انما ينطوى على ما بلغه تطور النزاع بين تيارى التقدم والرجعية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة ، وقد بدأ هذا النزاع بالثورة الروسية « البلشفية » تدعو إلى « الثورة العالمية » فى وجه الرأسمالية المتحكمة فى الأفراد المستعمرة للشعوب ، فتألبت عليها قوات الرأسمالية فى كل مكان ووقفت منها موقف المحاصرة والتحفز للغزو ، بل أقدمت على الاعتداء عليها وانتزاع بعض الأقاليم منها . وباءت الدعوة إلى « الثورة العالمية » بالاخفاق ، ونال داعيتها « تروتسكى » ما ناله من إقصاء ، واستحالت النظرية الروسية إلى الحد من « دوليتها » ، ووجهت الجهود إلى الاستعداد للدفاع عن النفس وقد أصبح محتوماً أن يثير التنافس الرأسمالى حرباً عالمية ثانية تكون أراضى الاتحاد السوفيتى ميداناً من ميادينها . ووقعت الحرب التى كانت روسيا تنتظرها وأبلى فيها الجيش الأحمر أحسن البلاء آملا أن يقع عن طريق انتصاراته ما كانت نظرية الثورة الأوربية تتوق إلى تحقيقه فى العالم من طمأنينة وإخاء عن طريق ما كانت تدعو إليه من « ثورة عالمية » . لكن الدبلوماسية السوفيتية مافتئت ، منذ دخل الاتحاد السوفيتى الحرب إلى جانب « الحلفاء » ، تلمس عند حلفائها من خبيثات الأمور ومن صريح الاتجاهات ما ملأها إساءة ظن احتاطت لها بكثير — ربما تاخم النلو — من الحذر .

وكانت ضرورات الحرب تقضى على الفرقاء جميعا بالكظم والمسايرة . فلما وقفت الحرب فى

أوربا ، وأنهيت الحرب مع اليابان بعيد استعمال الأمريكيين لقنبلتهم الذرية ، تكشفت الأمور وبدا الصبح ، فزمجر الكاظمون وضج الصابرون وتصلب المسايرون . وكانت الولايات المتحدة وكانت بريتانيا العظمى تعلمان قبل انتهاء الحرب من أمر القنبلة الذرية ما تعلمان ، فتنمرتا للاتحاد السوفيتي في مؤتمر سان فرنسسكو ما استطاعتا ، وخضعتا لبعض وجهات نظره مرغمتين — لأن الحرب كانت لا تزال قائمة وميادينها لا تزال متضامنة — ممنيتين نفسيهما بانتهاز الفرص التي ستسنح ، والجائيات منها أكثر من الرائحات .

وتم النصر وعقد مؤتمر تنظيم شؤونه في « بوتسدام » وتم الاتفاق فيه على مبادئ جوهرية تستند إليها الاجتماعات التالية ، ثم تبعه اجتماع وزراء الخارجيات الخمس ، فأخذ الانجليز والامريكان والفرنسيون يتنكرون فيه لتلك المبادئ الجوهرية ويصورون الاتحاد السوفيتي على أنه هو الراجع في ارتباطاته ، فسادت إساءة الظن وباء الاجتماع بالاخفاق . وراح السوفيتيون إلى موسكو يقبعون كاظمين الغيظ ، وراح الانجلوسكسونيون يجتمعون في ويعلنون اتفاقهم على التهديد بقنابلهم الذرية ، وراح الرفيق مولوتوف يشير في خطاب عيد الثورة إلى أن لدى روسيا قنابل ذرية و « اشياء أخرى » كذلك .

ثم انتقل الميدان من التراشق المباشر إلى التنابذ غير المباشر . فأخذ الانجلو سكسونيون يذكرون البلقان وما يقوم فيه من حكومات لا يريدون أن يعترفوا بها ، ويذكرون تركيا ويلوحون لها بتأييدهم إياها في موقفها من مشكلة المضايق . كما أخذت انجلترا تسعى إلى فرنسا تحاول تمهيد الطريق معها لعقد اتفاق يحقق فكرة « الكتلة الغربية » التي احتجت عليها روسيا ، وانتهت في سبيل هذا التمهيد إلى عقد الاتفاق الخاص بسوريا ولبنان والذي اتسعت دائرته حتى شملت العراق ومصر وفلسطين وشرق الأردن والعربية السعودية ، وهي الكتلة التي تنظر إليها روسيا على أن انجلترا إنما قد شجعت على « تجمعها » لتكون رقعة تتجه منها عند الاقتضاء صوب روسيا .

وبينما الأمور تسير على هذا المنوال إذا بالشعوب المضغوط عليها والمشتركة في الجنس مع أهالي جمهوريات ومناطق ومراكز داخلة في الاتحاد السوفيتي تتألب على الدول التابعة لها أو تتحفز للتألب . وكانت أذربيجان أول الأقاليم التي تألبت على إيران ، وكان الأكراد في إيران وفي تركيا وفي العراق ، وكان الأرمن في تركيا وفي مهاجرهم في الشرق وفي الغرب من المتحفزين للتألب ، وصورت الأوساط الانجلوسكسونية تألب المتألبين وتحفز المتحفزين على أنهما من فعل السوفيتيين ودسائسهم . فأبرز هذا التصوير في نظر الدول الصغيرة على الأقل الموقف العالمي على أنه تأييد من جانب الاتحاد السوفيتي لحركات التحرر القومي عند الشعوب المغلوبة على أمرها ، وعلى أنه تدخل من جانب دول الغرب لتسيير شؤون البلقان والشرق الأدنى على هوى الرأسماليين لا وفق رغبات الأهلين .

وفي هذا الجو يجتمع وزراء الخارجية الثلاثة في موسكو ، ويضاعفه مالا تفتأ الصحف السوفيتية تنشره هذه الأيام الأخيرة من ترديد لنغمات القتال الدائر في اندونيسيا والهند الصينية بين الأهلين وجيوش « الحلفاء » ، ومطالبة الهند ومصر وسوريا ولبنان بجلاء الجيوش الانجليزية والفرنسية والأمريكية عنها ، ومطالبة فلسطين بالاستقلال ، وحق سائر المستعمرات بنظام « الوصاية » تمشيا في سبيل الاستقلال ، وضرورة إقامة هذا النظام على قواعد دولية خيرة صحيحة .

وفى الوقت عينه لايزال التلويح بأسرار القنبلة الذرية وما قد يكون لدى روسيا من أسلحة مماثلة، ولا يزال التهديد بتعديل نصوص ميثاق الأمم المتحدة فيما يتصل بحق الرفض والاعتراض، لايزالان مستمرين من ناحية الانجلوسكسونين ، كما لا تزال مستمرة من ناحية السوفيتيين المطالبة بنصيب من حرية البحار لا فى الدردنيل والبوسفور وحدهما بل فى قناة السويس أيضاً وسائر المعابر فى العالم .

وإذن — سواء أأرادت الدبلوماتيات أم لم ترد — فان الوضع الذى يتجلى خلال الحوادث الدولية الجارية فى هذا الشهر المنقضى إنما هو وضع التقابل بين الموقف السوفيتى والموقف الانجلوسكسونى ، يظهر الأول بمظهر الاستناد إلى فكرة التحرير تتذوقها الجماعات التقدمية الواعية ، ويظهر الثانى بمظهر الاستناد إلى فكرة السيطرة تمقتها الشعوب المضطهدة وتخشاها الدول الصغيرة التى تغار على استقلالها وسيادتها

وفى هذا الجو ينتظر العالم انعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى العاشر من هذا الشهر المبتدئ ويقول القائلون إن استقبال هذا الانعقاد بالتفاؤل او بالتشاؤم معلق فى كثير على ما سينبعث من اجتماع موسكو من روح .

محمود عزمى